

تجربة عقلانية ثورية

أهنيء الطبقة العاملة والطبقات الشعبية الكادحة في قطرنا المناضل وفي وطننا العربي الكبير بعيدها العالمي^(١)، وأؤكد بهذه المناسبة ثقتي وقناعتي العميقة بدور هذه الطبقات التاريخي في تحرر امتنا العربية وتقديمها ووحدتها.

كما أهنيء مجلة «وعي العمال» والقائمين على تحريرها وطباعتها وأئمن دورهم في نشر الوعي القومي والاشتراكي بين صفوف العمال والكادحين. ولئن تعذر علي أن ألبى طلب «وعي العمال» في الإجابة بشكل واف على الأسئلة التي طرحتها، فلن يفوتني أن أجمل رأيي في جواب واحد على أسئلة قيمة يستحق كل واحد منها أن يفرد له بحث مستفيض.

كانت نكبة فلسطين عام ١٩٤٨ حداً فاصلاً بين زمنين وعقليتين ومفهومين للثورة. فقبل النكبة كانت المعركة معركة تحرر، فأصبحت بعدها معركة مصير، وكانت معركة تقدم، فأصبحت معركة حضارة، وكانت معركة أقطار، فأصبحت معركة أمة.

إن الجماهير العربية التي عرفت في الخمسينات مدأ ثورياً شاملاً، من المحيط إلى الخليج، قد برهنت، بتجاوبها النضالي الرائع، وعطائها السخي، على استيعابها العفوي الصادق لهذا الفارق النوعي الذي يميز المرحلة الجديدة، في حين قصر معظم القيادات العربية الثورية عن فهم هذا الفارق وبالتالي عن توفير شروطه ومستلزماته.

(١) حديث خاص لمجلة «وعي العمال» بمناسبة الأول من أيار (عيد العمال العالمي).

فوحدة ١٩٥٨ فشلت في التطبيق لانها جعلت الدولة غايتها لا الثورة، ولان قيادتها واجهتها البيروقراطية لم تفهم الوحدة كثورة دائمة، وان دولة الوحدة هي التي تفتح امام الجماهير طريق ثورتها الوحدوية الشاملة.

لقد جاءت الوحدة بمعطيات وحقائق جديدة، كان لا بد من حد معقول لاستيعابها. فالظروف الموضوعية باتت اكثر تعقيدا، وشروط القيادة للتجربة الوحدوية اصبحت اكثر صعوبة، تتطلب مستوى اعلى من قبل، وكفاءات جماعية نضالية تستند الى منظور قومي شمولي، مستند الى فهم علمي منظم للنضال الشعبي، والى نظرة اشد قسوة على الذات، واقترابا من الموضوعية، ومن الانسجام مع طبيعة المعركة الجديدة التي استنفرت كل احقاد الامبريالية والصهيونية والرجعية في وجه الوحدة، وجعلت هذا الحلف يضع التآمر على الوحدة في مركز اهتماماته ومخططاته اللثيمة.

وبعد حرب حزيران التي كان لها معنى الكارثة القومية التي كانت لنكبة ١٩٤٨، نشأ مناخ دافع الى المراجعة والنقد والنقد الذاتي والى تبين حجم المؤامرة، والمستويات الجديدة المطلوبة للنضال في المرحلة الجديدة.

وقد ادركت ثورة الحزب بعد السابع عشر من تموز ١٩٦٨ هذه الحقائق، وبرهنت خلال مسيرتها، وفي النهج الرصين الناضج الذي اتبعته، على تهيهو الجماهير العربية للدخول في مرحلة ايجابية جديدة اكثر نضجا وعقلانية وثورية. كما برهنت على عمق وعيها للشروط اللازمة للرد المتكافيء مع حجم المؤامرة على المصير العربي، اي الرجوع الدائم الى الجماهير، ثم الانطلاق بها نحو الفضاء الوحدوي وتخطي التجزئة، من خلال تصور شمولي للمعركة، ولقدرات العدو، ولمتطلبات معركة تحرير فلسطين، التي تشكل العمود الفقري لمسيرة النهضة العربية، اي لمسيرة الثورة الدائمة التي لاتأخذ معناها التاريخي ولانكتمل الا بالوحدة والتحرير وانتصار الجماهير.

ميشيل عفلق

بغداد في ٣٠ نيسان ١٩٨٠